دور الاتّحاد العام التّونسي للشغل في دعم المقاومة التونسية ما بين (1947-1955) من خلال نماذج من الجرائد التّونسية (الزهرة، النهضة، الوزير)

The role of General Tunisian Federation of Labor in Supporting the Tunisian Resistance between (1947-1955) Through Samples of Tunisian Newspapers: (Al-Zahra, Al-Nahda, and Al-Wazir)

أحمد غريسي[1] ، عبد الوهاب شلالي[2]

[1] جامعة العربي التبسي – تبسة، (الجزائر)، Ahmed.ghrissi@univ-tebessa.dz

[2] جامعة العربي التبسي– تبسة (الجزائر)، abdelouheb.chelali@univ-tebessa.dz

تاريخ الاستلام: 2020/11/18 تاريخ القبول: 2022/05/26 تاريخ النشر: 2023/12/31

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن الدور الكبير الذي لعبه الاتّحاد العام التّونسي للشغل في دعم المقاومة التونسية ما بين السّنوات (1947-1955م)، وإبراز مشاركته الفعّالة في معركة التحرير التّونسية الوطنية. ومن خلال هذه الدراسة توصّلنا إلى العديد من النتائج يمكن تلخيصها في كون أنّ الاتّحاد العام التّونسي للشغل استطاع قيادة الحركة الوطنية التونسية ابتداء من سنة 1952م وإلى غاية تحقيق الاستقلال الذاتي سنة 1955.

كلمات مفتاحية: الاتّحاد العام التّونسي للشغل، فرحات حشّاد، المقاومة الوطنية، الجرائد التّونسية.

Abstract:

This study sheds light on to revealing the great role of General Tunisian Federation of Labor in supporting the Tunisian resistance betwee (1947-1955). Also, it aims to highlight its active participation in the Tunisian national independence revelation. hrough this study, we conclude many results that can indicate the fact that the General Tunisian Federation of Labor could lead the Tunisian national movement from 1952 to achieving autonomy in 1955.

Keywords: General Tunisian Federation of Labor; Farhat Hached; National Resistance; Tunisian newspapers.

المؤلف المرسل: أحمد غريسي ، **الإيميل:** Ahmed.ghrissi@univ-tebessa.dz

1. مقدمة:

شهدت تونس بعد الحرب العالمية الثانية تزايدا ملحوظا ونموّا متصاعدا في الشعور القومي، ورغبة ملحّة في نيل حريّتها واستقلالها، بفعل التقلّبات العالمية التي أفرزت قوى عالمية جديدة وأضعفت القوى الاستعمارية القديمة التي كانت مسيرة على العالم لقرون طويلة، وبرزت منظّمات وشخصيات عالمية دعت إلى تحقيق السلام العالمي وتقرير مصير الشعوب المغلوبة، وقد سارعت كل الأحزاب الوطنية التّونسية والنقابات القومية والجمعيات إلى التكتّل والتوحّد حول فكرة الاستقلال والدعوة إلى بطلان الحماية الفرنسية، وتجسّد ذلك في مؤتمر "ليلة القدر 1946م".

وهنا يظهر دور الاتّحاد العام التّونسي للشغل في دعم الكفاح التحرّري التّونسي والمشاركة الفعّالة في المقاومة الوطنية التّونسية إلى غاية تحقيق استقلالها التام، مرورا بالاستقلال الذاتي، وكذلك دور النقابة الذي لم يكن منحصرا في الدفاع عن حقوق العمال النقابية فحسب، بل كان لها اهتمام بالشأن التّونسي العام عكس ما كان يظنّ البعض، وهذا ما جعلنا نركّز في دراستنا عن المواقف الوطنية الكثيرة والمشرّفة الصادرة من طرف الاتّحاد العام التّونسي للشغل وأبرز قادته في سبيل نصرة القضية التّونسية والدفاع عنها بشتّى الوسائل والأساليب، وإبراز شهادة قادة حزب الدستور الجديد في حق قادة الاتّحاد الوطنيين.

ولكي يحقّق البحث أهدافه كان لابدّ من طرح الإشكال الرّئيسي الآتي:

إلى أيّ مدى ساهم الاتّحاد العام التّونسي للشغل في دعم المقاومة الوطنية التونسية في ظل السياسة الاستعمارية القمعية والقوانين النقابية التي تحكمه؟

وطرح ما تفرّع عنه من إشكالات فرعيّة، منها:

- ما هي ظروف نشأة الاتّحاد العام التّونسي للشغل وأهم مطالبه النقابية؟
- ما هي المواضيع التي ركّزت عليها الجرائد المذكورة أعلاه أثناء حديثها عن الاتّحاد؟.
- ما مدى حضور شخصية فرحات حشّاد الأمين العام للاتّحاد في مواضيع الجرائد؟.
- ما هو موقف الاتّحاد من المقاومة الوطنية التّونسية؟.
- كيف استطاع الاتّحاد كسب التأييد العالمي للقضيّة التّونسية؟

اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج المقارن، من خلال مقارنة ما جاء ذكره في الجرائد التّونسيّة الثلاثة (الزهرة، النهضة، الوزير) من مواقف الاتّحاد الوطنيّة وأدواره

السياسية، وتنديده بالسياسة الاستعمارية الاستغلالية والقمعية في حقّ الشعب التّونسي، بالإضافة إلى عمله النقابي.

كما اعتمدنا على المنهج الوصفي بالوقوف على وصف الأحداث والمجازر ومجريات الحياة السياسية في تونس، وشخصيّة فرحات حشّاد، ومحاولة تفسير دوره الوطني القوي إبّان الاستعمار الفرنسي لتونس، وتأثيره في أوساط الجماهير، وقيادته للحركة الوطنية.

نهدف من خلال طرح هذه الدراسة إلى ما يلي:

- معرفة الدور الحقيقي الذي أدّاه الاتّحاد العام التّونسي خلال الحركة الوطنية التّونسية.
- إدراك الشخصية الوطنية لفرحات حشّاد من خلال الجرائد التّونسية التي عايشت الأحداث.
- إدراك أبعاد السياسة الاستعمارية الفرنسية من خلال الحفاظ على تونس ضمن مستعمراتها.
- معرفة نوايا الاستعمار الفرنسي وطريقة تصفيته للمناضلين الوطنيين.

2. أولا: مدخل مفاهيمي:

1.2 السياق التاريخي لنشأة وتأسيس الاتّحاد العام التّونسي للشغل:

كان للظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي مرّت بها تونس أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية دور في ضعف الحركة النقابية الفرنسية (السيجيتي)، بسبب التباين في المصالح والمطالب بين العمال الأوروبيين والتونسيين، وفي مؤتمر أكتوبر 1946 حدث انقسام حول مسألة القطيعة الهيكلية مع (السيجيتي) الفرنسية، وتمّ الإعلان عن تحويل الاتّحاد الإقليمي (السيجيتي) إلى الاتّحاد النقابي لعمال القطر التّونسي، وقد رفضت مجموعة من النقابات هذا القرار، وأكّدت على بقائها ضمن (السيجيتي)، وأنشأت في فيفري 1947 "مجمّع النقابات الموحّدة"، والذي تحوّل في مارس 1948 إلى "اتحاد نقابات تونس (السيجيتي)". بينما تشكّل الاتّحاد العام التّونسي للشغل عن طريق اندماج مجموعة نقابات تونسية (اتّحاد النقابات المستقلّة للجنوب، اتّحاد النقابات المستقلّة للشمال، فدرالية الموظفين التونسيين) (آيت مدور، 2013، الصفحات 208- 211).

وانعقد مؤتمر الاتّحاد التأسيسي يوم 20 جانفي 1946 في القاعة الخلدونية بالعاصمة، برئاسة الشيخ الزيتوني الفاضل ابن عاشور، وقد رسم المؤتمر الخطة النضالية المستقبلية التي سيتبنّاها الاتحاد بناء على الواقع التونسي الاقتصادي والاجتماعي والسياسي، وفي المؤتمر تمّ انتخاب فرحات حشاد أمينا عاما للاتّحاد (مصباحي، 2011، صفحة 64).

حضرت مؤتمر الاتّحاد خمسون (50) نقابة مستقلة، وقد استمدّ الاتّحاد شرعيته القانونية من المرسوم الملكي الصادر يوم 16 نوفمبر 1932 الذي نصّ في مادته الأولى على حرية النشاط النقابي، وممّا جاء فيه: " يجوز تكوين نقابات وجمعيات مهنية بحرية وبدون استرخاص الحكومة من طرف الأشخاص الذين يعملون فوق التراب التّونسي منذ عام على الأقل والذين يملكون نفس المهنة أو مهن متقاربة أو مترابطة " (آيت مدور، 2013، صفحة 212).

2.2 الزعيم فرحات حشّاد (الأمين العام للاتّحاد العام التّونسي للشغل):

يعدّ من أبرز قادة الاتّحاد، والذي ساهم في إدماجه في المقاومة الوطنية وفي معركة التحرير، ولد يوم 02 فيفري 1914 بجزيرة قرقنة في قرية العباسية، من أسرة فقيرة، كان أبوه صيادا، زاول تعليمه الابتدائي في مدرسة الكلابين العربية – الفرنسية، انتقل إلى صفاقس وعمل كأجير، ثم عمل قابضا في الشركة التونسية للنقل بالسيارات في الساحل ثمّ كاتبا محاسبا في مكتبها في مدينة سوسة، ثمّ انضم إلى العمل النقابي في فرع تونس لمنظمة الجامعة العامة للعمل الفرنسية، ثم أصبح كاتبا في فرع إدارة الأشغال العامة بصفاقس، ثم شكّل بمعية رفيقه الحبيب عاشور النقابات المستقلة بصفاقس، كما اتّفق مع الحزب الدستوري الحر على تشكيل نقابات في كامل القطر، ثم انتقل حشاد إلى تونس وهناك دعا إلى عقد مؤتمر في 1945/08/05 الذي شكّل جذور الاتّحاد العام التّونسي للشغل وواصل كفاحه في المنظمة النقابية التونسية، وكافح من أجل إيصال صوت العمال في العالم، كما ناضل في الحركة الوطنية وكانت له مواقف كبيرة، إلى أن اغتالته السلطات الاستعمارية في 1952/12/05 **(البلهوان، 1954، الصفحات 425-427)**.

3.2 التنظيم والتكوين:

عمل الاتّحاد على تكوين قاعدة نقابية من العمال، على طريقة الكفاح النقابي من خلال الميدان، حتّى يكونوا على استعداد للمسؤولية المنوطة بهم مستقبلا، وفي هذا الاتّجاه يقول

حشّاد: "... تولّى الاتّحاد العام بالرغم من ضعف الوسائل المادية التي يملكها من تنظيم سلسلة من الدروس والمحاضرات تمهيدا لتكوين قادة نقابيين قادرين على القيام بالمهمة التي تنتظرهم، فإنّ العناية بتعليم الطبقات العمالية واجب من أنبل وأوكد الواجبات الملقاة على عاتقنا " **(البلهوان، 1954، صفحة 429)**.

كما كوّن الاتّحاد العمال من حيث حقّهم في الإضراب والتعبير عن مطالبهم بكلّ حرّية، حتى يستطيع مواجهة الاستعمار المستعبد لحقوقهم ولثروات البلاد، واعتبر الاتّحاد الإضراب من أكبر الوسائل لإخضاع السلطات الفرنسية، وحق لن يتنازل عنه، وأبدى الاتّحاد استعداده في التصدّي للاستعمار إذا حارب هذا الحق. وفي ذلك يؤكّد حشّاد بقوله: " أمّا حق الإضراب فهو في ظل حكومة تبدو وكأنّها اتّخذت سوء النيّة والغدر مبدأ سياسيا يصبح أعز سلاح وأكثر الأسلحة مفعولية وتأثيرا بيد طبقة العمال للدفاع عن مصالحها الحيويّة المادية والأدبية.. وهذا حق لن يتنازل عنه العمال أبدا حتى في حالة إقدام السلطات على محاربته" **(البلهوان، 1954، صفحة 430)**.

4.2المطالب النقابية:

دعا الاتّحاد إلى تشغيل كل العمال، وتنفيذ برنامج واسع في البلاد في المجال الصناعي والمائي والصحي والتعليمي، كما أكّد على أنّه من حقّ الشعب استرجاع سيطرته على المناجم والمواصلات والغاز والماء والكهرباء والملاحات والبنوك والأبحاث البترولية ومصانع الإسمنت والأراضي الفلاحية المسلوبة، ويحظى فيها العمال بمشاركة واسعة، وطالب بإلغاء نظام الخماسة. وبخصوص الموظّفين، طالب الاتّحاد بالمساواة في الأجور بين العمال التّونسيين والفرنسيين وفي الوظيف بما يتناسب مع عدد السكان، وتمكينهم من الارتقاء في المناصب العليا، وإدخال اللغة العربية في الإدارة **(آيت مدور، 2013، صفحة 196،215)**.

5.2الانضمام إلى الكونفدرالية العالمية للنقابات الحرّة:

تقدّم الاتّحاد بطلب الانضمام إلى المنظمة العالمية للنقابات (ف– س– م)، ذات التوجّه الشيوعي فلقي معارضة شديدة من الفرنسيين، وتم قبوله رسميّا عام 1949، لكنّ هذه المنظمة عاملت الاتّحاد بالنظرة الاستعمارية، ولم يستطع الاتّحاد فيها الدفاع عن حقوق

العمال التّونسيين، فانسحب منها عام 1950 (**عبد الله، 1976، صفحة 75، 76**). ثم سعى جاهدا إلى الانضمام إلى النقابات الحرّة العالمية (سيسل) التي تهتم بمصير الشعوب المظلومة، وقد لبّى الاتّحاد استدعاء المنظمة لحضور اجتماع اللجنة التنفيذية في بروكسل يوم 1951/02/15، وتم قبوله فيها، واعترفت به كونه المنظمة النقابية القومية التونسية الوحيدة، وأكّدت تضامنها معه، ومساعدته على تكوين نقابات في المغرب العربي وإعطاء اللغة العربية حقّها في نشرياتهم (**البلهوان، 1954، صفحة 427**).

3. دعم الاتّحاد للمقاومة الوطنية من خلال نماذج من الجرائد التّونسية (الزهرة، النهضة، الوزير).

1.3 الدفاع عن حقوق العمال المسلوبة ونقد الحكومة الاستعمارية:

كان الاتّحاد يكافح باستمرار في سبيل إسعاد الطبقة الشغيلة والرفع من مستواها المادي والفكري، ولا يتوانى في انتقاد موقف الحكومة الاستعمارية المخزي في حق العمال، والتي سخرّت كل إمكانياتها المادية من جيش وشرطة لمناصرة الشركات الأجنبيّة، ومعاداة عالم الشغل للشعب التّونسي (زغودة، 1950، صفحة 2).

وفي إطار الدفاع عن أجور العمال، وجّه الاتّحاد العام التّونسي للشغل نداءه العام إلى كل العمال التّونسيين من أجل تنفيذ قرار الإضراب المزمع عقده يوم الخميس 25 مارس 1954 لمدة أربعة وعشرون ساعة، احتجاجا على قرار السلطة الاستعمارية المتضمن رفع الأجور، والتي اعتبرها زيادة تافهة وضئيلة لا تحقّق آمال العمال، وقد اتّبعت كل المنظّمات الأخرى دعوة الاتّحاد العام في قراره بخصوص الإضراب ودعت العمال المنضوين تحتها إلى المشاركة في الإضراب، حتّى يكون 25 مارس " يوما شعبيّا يعبّر عن صمود العُمْلَة أمام تيّار الأسعار الجارف". وممّا جاء في نص النداء ما يلي:

" أيّها الشغّالون التّونسيون منذ سنوات لم يزل ثمن المعاش يرتفع ولم تزل مقدرتكم على الشراء تضعف وتنقص وكانت الحكومة على علم بحالكم السيّئة وكانت تعترف بأنّ ثمن المعيشة لم يرتفع منذ سنة 1951 ومع ذلك فقد ماطلت الحكومة أشهرا عديدة وأشهرا قبل أن تعقد اجتماع اللجنة المركزية لمراجعة الأجور. ثمّ اجتمعت هذه اللجنة وحضرها نوّابكم من أعضاء الاتّحاد العام للدفاع عن مصالحكم الشرعيّة وقدّموا لائحة لم يسع أعضاء المنظّمات النقابية الأخرى إلا أن يصادقوا عليها...".

وأهم مطالب الاتّحاد من خلال اللّائحة نذكر الآتي:

– طلب زيادة 30% في الأجور وفي توابعها للمنح العائلية ابتداء من شهر أكتوبر 1953، لأنّ الزيادة التي وقعت في شهر أكتوبر 1951 لم تحقّق الفرق الموجود بين الأجور والأسعار، كما أنّ ثمن المعيشة قد ارتفع بنسبة 20% منذ ذلك التاريخ.

– إلغاء جميع مناطق الأجور.

– إعفاء العمال من الأداءات القانونية على الأجور أو تعويضها منحا تعادل تلك الأداءات.

– تحديد أجور العمال الفلّاحين بنسبة 80% من أجور إخوانهم من عمال الصناعة والتجارة.

كما اعتبرت اللّائحة أنّ هذه الزيادة التافهة في الأجور تعدّي على العمال وظلم وجور وسلب لحقوقهم وإعراض عن "الرقيّ الاجتماعي في هذه البلاد" (القسطلي، 1954، صفحة 2).

وفي ختام اللّائحة دعا الاتّحاد كل العمال إلى وجوب الاتّحاد حول منظّمته النقابية القوميّة الكبرى، ومواصلة **الكفاح التحرّري** حتى تحقيق النصر وكل المطالب والحقوق في التمتّع بحياة كريمة وحرّة في سبيل العدالة والرقيّ الاجتماعي، وهذا لا يتأتّى إلا بتوفّر القدرة الشرائية التي تتناسب مع أسعار المعيشة، وفتح مجالات التشغيل من أجل القضاء على البطالة، واستفادة البطّالين من منحة بطالة ومنحة عائلية، وزيادة المنح العائلية بنسبة 33%، وتحديد أجور الفلّاحين بنسبة 80% من أجور العمال في ميدان التجارة والصناعة. وأكّد البيان على ضرورة **مقاومة الإدارة المستبدّة** وسياستها الرجعية القائمة على الخضوع لأوامر الشركات الكبرى ورؤوس الأموال (القسطلي، 1954، صفحة 2).

2.3 تجريم الاستعمار والدعوة إلى الوحدة الوطنية:

أثناء انعقاد المؤتمر الثاني للاتّحاد يوم الجمعة 19 ديسمبر 1947 بقاعة الكازينو البلفيدير، أظهر الاتّحاد وعيًا وطنيّا وجرأة سياسية من خلال توصياته التي اقترحها زعيم الاتّحاد فرحات حشّاد في تقريره الأدبي، من بينها: إرسال برقية تضامنية إلى المناضل الحبيب عاشور المتواجد في سجن صفاقس، وبرقية أخرى إلى "الكاتب العام لجامعة النقابات العالمية في تضامن عمال تونس مع بقيّة شغالي العالم في كفاحهم ضدّ الاستعمار

والاستغلال". ولقد بات الاتّحاد بمواقفه الوطنية وكأنّه حزب سياسي. **(القسطلي، 1947، صفحة 1)**.

نستنتج من خلال هذه المراسلات التضامنيّة، أنّ الاتّحاد بات يشكّل خطرا على سلطة الحماية، خاصة ما تعلّق برسالته إلى الكاتب العام لجامعة النقابات العالمية المتواجدة في الولايات المتّحدة الأمريكيّة، بحيث نجد في طيّات الرسالة، طلبه للتأييد العالمي لقضيّة تونس.

كما دعا الاتّحاد كل المنظّمات النقابية والأحزاب التّونسية، إلى عقد اجتماع احتجاجي يوم الجمعة 24 فيفري 1950 بسوق الأربعاء، من أجل التنديد بموقف الحكومة وسياستها الاقتصادية والاجتماعية، وقد أحيلت الكلمة للهادي بن عمارة الكاتب العام للاتّحاد الجهوي للاتّحاد العام التّونسي للشغل، الذي ارتجل خطابا بيّن فيه أسباب انعقاد هذا اللقاء، وقال: " إنّما عقدناه لنقيم الدليل أمام المستعمر على أنّ جميع المنظّمات العاملة في البلاد هي وحدة لا تتجزأ وأنّها كلها يد واحدة ضدّ الطغيان الاستعماري وإن بدت متعدّدة مختلفة الأسماء وتكتّل هاته الحركات واجتماعها في صعيد واحد عندما تدعو المصلحة القومية لذلك هو عربون النجاح ورائد الفلاح"، كما حذّر في آخر خطابه من البرنامج الاستعماري المدروس الذي تطبّقه سلطة الاحتلال على البلاد من أجل الوقوع في مخطّطاتهم، وأن لا مناص من شلّ سياستهم إلا بالتكتّل والوحدة.

وفي آخر الاجتماع صادق الحضور على لائحة تضم أربعة نقاط:

- التنديد باعتداءات الحكومة على الحرّيات النقابية والعمومية.
- الاحتجاج على ميزانية التقفير التي أقرّتها الحكومة لسنة 1950.
- المطالبة بتسريح الجنود التّونسيون الذي أخذوا قهرا للمشاركة في حرب الهند الصينية.
- النضال ضدّ جميع ممارسات الحكومة التي تجلب الحرب والضرر للبلاد.
- إنشاء لجنة للدفاع عن الحريّة والسلم الذي بات مهدّدا من طرف الاستعمار **(زغودة، 1950، صفحة 2)**.

كانت السلطات الاستعمارية تسعى جاهدة إلى زرع الفرقة والشتات بين النقابات التّونسيّة والأحزاب السياسية في إطار سياسة "فرّق تسد" حتّى لا تتوحّد كلمتهم ومطالبهم،

غير أنّ قادة الاتّحاد كانوا على يقظة تامّة من هذه المناورات الرامية إلى ضرب الوحدة الوطنيّة، فتجدهم يبادرون بجلسات ولقاءات كبيرة يستدعى فيها كل النقابات والأحزاب ويؤكّدون فيها على الوحدة ويحذّرون من سياسات العدوّ.

3.3التنديد بالسياسة الاستعمارية الاحتكارية:

كما كان الاتّحاد لا يتخلّف عن التنديد بالسياسة الاستعمارية الاستغلالية المسلّطة على الشعب، ويساند كل المنظّمات والأحزاب المدافعة عن حقوق أهل البلاد، من ذلك:

مساندته لائحة متضمّنة شكوى من بلدة "خنيس" التابعة للمنستير، التي تلقّتها إدارة جريدة الزهرة بعنوان: " كارثة تهدّد حياة السكان"، والتي تحمل إمضاءات: شيخ البلد، الهيئات النقابيّة وعلى رأسهم الاتّحاد العام التّونسي للشغل، اللجنة الشرطية، لجنة الغابات، الأعيان والوجهاء، العدول، الشعبة الدستورية، وكان هؤلاء يندّدون بالسياسة الفظيعة لسلطة الحماية وأعوانها، ويتذمّرون من التصرّفات الشاذة المنافية لقواعد العدالة والقانون، وذلك أنّ شركة رأسمالية عاملة في سبخة خنيس، قد تحصّلت على أمر عَلِيّ بتاريخ 6 أكتوبر 1949 نشر في "الرائد الرسمي" عدد 83 بتاريخ 11 أكتوبر 1949، يرخّص للشركة حقّ حجز البقيّة الباقية من البحر المحيط بالبلدة المذكورة، حتّى تواصل في إنتاج الملح زيادة لأرباحها، وهذه العملية تهدّد – حسب ما جاء في اللّائحة– حياة أهل بلدة خنيس، حيث وجّه أعيانها لائحة بيّنوا فيها للباي ولعامل المنستير ووزيري الصحة والفلاحة ورئيس القسم التّونسي للمجلس الكبير، الأضرار الناجمة من حجز الشركة للبحر، وطالبوا الحكومة أن تتوقف من تأييد الشركات الاستثمارية التي لا تهتم إلا بمصالحها. **(الصّنادلي، 1950، صفحة 3)**.

وممّا جاء في اللّائحة من الأضرار الناتجة عن عملية الحجز بعد ركود ماء البحر والذي يخلّف أمراضا كثيرة، نذكر منها ما يلي:

– انتشار أمراض العيون بنسبة 30% بين سكان بلدة خنيس بسبب السبخة، وستتضاعف هذه النسبة إذا تمّ حجز البقيّة الباقية من البحر، وهو ما يعرّض سكانها لفقد البصر بنسبة 100%.

– انتشار أمراض السل والصدر.

– انتشار الحشرات والروائح الكريهة بسبب الماء الراكد، وهو ما أدّى إلى تعفّن الهواء والذي أثّر سلبا على كل حياة البلدة وزاد من انتشار الحمى والسم القاتل.

– تضرّر أشجار الزيتون من ركود الماء المنبعثة منه الملوحة والرطوبة.

– إنّ البقيّة الباقية من البحر المراد حجزها، هي محل رزق صائدي الأسماك، الذين يفوق عددهم الألف نسمة، فمن أين يتقوّت هؤلاء إذا حرموا من هذا المكان؟

– إنّ حرفة غالبية البلدة هو صناعة النسيج، ونساء البلدة يغسلن الصوف في البحر. فمن أين لهنّ بالماء إذا تمّ حجزه؟

كما طالبوا بإيفاد لجان طبّية نزيهة متخصّصة لمعاينة ما ذكر في اللّائحة، وإلا فسيكون الموت المحتّم مصير هذه البلدة. **(الصّنادلي، 1950، صفحة 3)**.

كلّ هذه المعطيات والأرقام تبيّن فساد السياسة الاستعمارية الإصلاحية، التي لا تهتمّ بمطالب الشعب التّونسي ولا بحلّ مشاكله، فهمّها الوحيد تحقيق مصالحها ومصالح الشركات الأجنبيّة المستثمرة في تونس.

كما جاء في الخطاب الاحتجاجي للهادي بن عمارة الكاتب العام للاتّحاد الجهوي للاتّحاد العام التّونسي للشغل، الذي ألقاه يوم الجمعة 24 فيفري 1950 بسوق الأربعاء، إثر اجتماع عقدته المنظّمات النقابية والقومية من أجل التنديد بسياسة الحكومة الاقتصادية والاجتماعية، حيث ندّد فيه بموقف الحكومة المناصر للرأسمالية الاستغلالية والشركات الاستعمارية التي "امتصّت دم هذا الشعب واحتجزت ثرواته"، كما تعرّض لميزانية 1950 التي ذكر أنّها سترهق هذا الشعب بضرائب كثيرة تزيد في فقره وتعاسته **(زغودة، 1950، صفحة 2)**.

كانت السلطة الاستعمارية تعتمد على نظريّة "الأعراف" وليس مبدأ القوانين والمساواة والعدالة الاجتماعية وحقوق العمال، بحيث تجدها دائما تصدر قرارات تحافظ من خلالها بجميع الوسائل على أرباح المعمّرين الأجانب، ورعاية أرباح الشركات الكبرى وأصحاب رؤوس الأموال **(القسطلي، 1954، صفحة 2)**.

جاء في خطاب ألقاه ممثّل الاتّحاد الجهوي للاتّحاد العام التونسي للشغل أمام الأمير الشاذلي باي أثناء زيارته إلى مدينة بنزرت يوم 15 جانفي 1950، أنّ الشركات الاستثمارية الأجنبيّة استولت على كل خيرات البلاد بفعل السياسة الاستعمارية، واستفاد من هذه الخيرات

الأجنبي الدخيل وحرم منها ابن البلاد وصاحب الأرض، حتّى تركت فرنسا في الإيالة التّونسية "جيشا منكسر القلب من الشغالين الذين لا شغل لهم يجرّون أذيال التعاسة والشقاء يستصرخون الإنسانية والعدالة ثمّ لا يجدون آذانا صاغية تردّ عنهم" وفي غالب الأحيان يستجاب لهم بوابل من الرصاص ويتمّ وضعهم في السجون أو نفيهم من البلاد **(زغودة، 1950، صفحة 1)**.

يتبيّن من الخطاب شكوى المواطنين للأمير من الشركات الاستثمارية الأجنبيّة ومن الظلم الاستعماري ومن البطالة التي يعانون منها في ظل وجود مناصب شغل لا يستفيدون منها.

هل هذه هي الديمقراطية والعدالة والمساواة التي تتغنّى بها فرنسا؟ هل بعد هذا يمكن الحديث على سياسة استعمارية إصلاحية؟ وهل يطلق على هذه السياسات والقوانين مصطلح الإصلاح أصلا؟

4.3دعم القضية الوطنية التونسية ديبلوماسيّا:

استطاع حشّاد بحنكته وشجاعته إقناع اتّحاد العمال الأمريكي – باعتباره أكبر منظّمة عمالية في الولايات المتّحدة– بدعم القضية التّونسية والضغط على الحكومة الفرنسية، على إثر ذلك عقد اتّحاد العمال الأمريكي اجتماعا بحضور فرحات حشّاد للنظر في المشكل التّونسي، والذي أصدر "احتجاجا صارما على موقف حكومة الولايات المتّحدة من المشكل التّونسي في مجلس الأمن وألحّ على حكومته أن تتدخّل بصفة سريعة لدى الحكومة الفرنسية حتّى تمنح التّونسيين استقلالا ذاتيّا حقيقيّا" **(القسطلي، 1952، صفحة 1)**.

يتبيّن من خلال احتجاج اتّحاد العمال الأمريكي على موقف حكومة بلاده، أنّه ساهم بشكل كبير في ضغط الولايات المتّحدة الأمريكية ومجلس الأمن على الحكومة الفرنسية، والذي عجّل بجنوح الحكومة الفرنسية للمفاوضات وإعطاء تونس الاستقلال الذاتي، أما اندلاع الثورة الجزائرية فقد كان سببا مباشرا في التعجيل بالاستقلال التام لتونس.

5.3 علاقة الاتّحاد بحزب الدستور الجديد وبالقصر الملكي: (الحبيب بورقيبة، الباي).

جمعت قادة الاتّحاد وقادة حزب الدستور الجديد علاقات تعاون واتّحاد فيما بينهم، حيث كان حزب الدستور وفروعه الدستورية يشاركون في مؤتمرات الاتّحاد العام وكذا لقاءاته

العامة، ويؤكّدون في خطاباتهم على دعمهم للعامل التّونسي الذي يكافح سياسة الاستعمار الاستغلالية، ويعتبرون نضاله جزء من الكفاح التحرّري العام، ويخاطبون الشعب بكل فئاته وفي جميع المجالات، إلى أن يواصل المقاومة حتّى يتخلّص من هذا النظام ويتمتّع بحياة الكرامة والاستقلال (**زغودة، 1950، صفحة 2**).

وخلال انعقاد المؤتمر الثاني للاتّحاد يوم الجمعة 19 ديسمبر 1947، شارك معظم الأعضاء البارزين في الحزب الدستوري الجديد وعلى رأسهم صالح بن يوسف وعلي البلهوان، وقد أعطيت الكلمة لصالح بن يوسف بصفته عضوا في اللجنة التشريعية للمؤتمر، والذي تعرّض في كلمته إلى النضج الاجتماعي والإداري في تونس، وثمّن أعمال الاتّحاد ومواقفه الوطنيّة ومساندته للقضايا العادلة والذي "أظهر تفهّما كبيرا وتمييزا صحيحا بين الحركة النقابية والسياسية في حين أن الحكومات المسيطرة أصبحت في فوضى لا تفرّق بين الحركات ..."، وافتخر بالأمة التّونسية التي أصبحت حسب قوله راشدة وقادرة على تسيير شؤونها بنفسها، كما حضي علي البلهوان عند دخوله القاعة بترحيب كبير، وهو ما يعكس العلاقة الطيّبة بين قادة الاتّحاد والحزب (**القسطلي، 1947، صفحة 1**).

كذلك عندما توفي فقيد الأمة الّتونسية الملك الوطني محمد المنصف باشا باي في منفاه –الحدث الذي وحّد التونسيين– والذي كان ملكا شعبيّا ووطنيّا غيورا ضحّى بكلّ شيء من أجل كرامة شعبه، ملكه وجاهه وعائلته، وقد تقرّر نقل جثمانه إلى تونس، حيث نظّم جنازته طيلة مسيرتها إلى مقبرة الجلّاز مناضلي الاتّحاد العام التّونسي للشغل وبعض الشباب الدستوري، واستقبل الشعب نعشه في الميناء بالنشيد الوطني والتحيّة العسكرية والموسيقى والنشيد الملكي، وكان التابوت ملفوفا بالعلم التّونسي، وتزاحم الجماهير من أجله، والتكبير يعلوهم، لأنّهم قضوا الأيام والسّنين في انتظار عودته إليهم، حيث شارك في جنازته كلّ الفئات التّونسية وكلّ الأحزاب والنقابات والكشافة وشيوخ الزيتونة، ومن أبرز الزعماء الذين حضروا؛ فرحات حشّاد (الاتّحاد العام) والمنجي سليم (الحزب الجديد) وصالح فرحات (الحزب القديم)، وقد دفن يوم الاثنين 06 سبتمبر 1948 صباحا، كما تداول على تأبينه الكثير من الخطباء الذين شهدوا بوطنيّته ومواقفه الصريحة ودعمه للحركة الوطنية. حضر الجنازة ما يقارب 100.000 ألف شخص، ومن الجزائر حضر ممثّل حزب الشعب (حركة انتصار الحرّيات الديمقراطية) أحمد مزغنّة (**القسطلي، 1948، الصفحات 1–2**).

استفادت الحركة الوطنيّة التّونسية من هذا الحدث أمورا كثيرة من أهمها: ظهر للعيان قوّة تنظيم الاتّحاد للجنازة وانضباط مناضليه، كما أنّ الحدث جمع كل الفئات والأحزاب والنقابات وجامع الزيتونة في صعيد واحد، ووحّد الحركة الوطنية حول مبدأ واحد وزعيم واحد، كما تذكّروا مناقب الرجل ومواقفه الشجاعة، وأحيت في نفوسهم هذه الجنازة مواصلة النضال والكفاح حتى تحقيق الاستقلال وفاء للملك ولتونس.

وأثناء زيارة الأمير الشاذلي باي يوم 15 جانفي 1950 إلى مدينة بنزرت، ألقى ممثّل وفد الاتّحاد الجهوي للاتّحاد العام التّونسي للشغل خطابا، أعرب فيه للأمير عن عواطفهم النبيلة للباي محمد الأمين باشا، وعن فرح الطبقات الشغيلة بمواقفه من قضايا عالم الشغل ومواساته لهذه الطبقة الضعيفة، والذي كان بمثابة الأب الحنون، وختم خطابه بدوام العزّ والتأييد للملك محمد الأمين باشا وبتونس حرّة مستقلّة **(زغودة، 1950، صفحة 1)**.

6.3اغتيال فرحات حشّاد:

قدّمت جريدة الوزير بتاريخ 08 ديسمبر 1955 تفاصيل مقتل فرحات حشّاد وعلّقت على موقف الحكومة من ذلك، بقولها: " ... استشهد زعيم الحركة العمالية والكاتب العام للاتّحاد العام التّونسي للشغل حيث وقع الصرخ (كذا) عليه فكسر الرصاص ذراعه بينما كان راكبا السيارة من مسكنه برادس ... وما إن خرج من السيارة مكسر الذراع حتّى لاقته سيارة أخرى تظاهر سائقها بأنّه يريد حمله إلى أحد مستشفيات الحاضرة وفي الحقيقة كان يريد الفتك به وقتله شرّ قتلة بمساعدة رفاقه من ركاب السيارتين وفعلا وضعه في حفير مجاور للطريق العام ... وبعد تثقيب جسده بالرصاص ثمّ ذهاب قتلته بأمان دون بحث أو استنطاق ودون العثور عليهم بل دون تلقّي شهادات الحاضرين ضدّهم بالواقعة الذين من بينهم فرنسي وإيطالي ..." **(ابن عيسى، 1955، صفحة 2)**.

نستنتج من هذا الكلام أنّ السلطة الاستعمارية كانت متواطئة في قتل حشّاد وغيره من المناضلين، وساعدت منظمة "اليد الحمراء" على ذلك، بل أعطت لها الضوء الأخضر، حتى ترهب قادة الحركة الوطنية وتجعلهم يقبلون بالإصلاحات والمفاوضات كما أرادتها. وإلا فكيف نفسّر مقتل حشّاد في وضح النهار وفي طريق رئيسي كبير؟ والغريب في الأمر أنّ تحقيقات قتله لم تباشر، وأغلق ملف قضيّته في حينه.

ندرك الآن تماما، لماذا اغتالت منظمة "اليد الحمراء" الاستعمارية زعيم الاتّحاد العام التّونسي للشغل فرحات حشّاد في 05 ديسمبر 1952؟ فقد رأينا مدى تأثير منظّمة الاتّحاد في الجماهير وخاصة الطبقة الشغيلة، وتأطيره الكامل لهم، فبمجرد إعلانها عن الدخول في إضراب احتجاجا على السياسة الاستعمارية، تجد كل النقابات تتّبع قرارها، وباقي الأحزاب والمنظّمات تساندها، وهذا ما شكّل رعبا لدى الأوساط الاستعمارية، التي بات يشكّل لها الاتّحاد خطرا على كيانها ومستقبلها، فدبّرت لاغتياله، ومن ثمّ التضييق على الاتّحاد وسجن مناضليه.

7.3 معارضة إصلاحات الحكومة الفرنسية والدعوة للإضراب:

أصيب مناضلو الاتّحاد بخيبة الأمل بعد ردّ وزارة الخارجية برسالة الخامس عشر من ديسمبر 1951 التي أكّدت فيها أن تونس محمية فرنسية ولا يمكن الاستغناء عنها، في حين كان الجميع يترقّب موافقة الحكومة الفرنسية على مطالب مذكّرة 31 أكتوبر 1951 المقدّمة من طرف وزارة محمد شنيق بموافقة الباي والحزب الدستوري والنقابات، بخصوص "إحداث مجلس دستوري يمثّل الشعب التّونسي فيه أتمّ تمثيل"، ونتيجة هذا الرد دعا الاتّحاد العام التونسي للشغل بمعية باقي الأحزاب والمنظمات إلى الإضراب العام في كامل البلاد، ابتداء من 21 ديسمبر وإلى غاية 23 ديسمبر 1950 حتّى تستجيب الحكومة الفرنسية إلى مطالبهم **(ابن عيسى، 1951، صفحة 2)**.

كما انتقد الاتّحاد العام الجهوي بصفاقس يوم 21 مارس 1954 في بيان له إصلاحات 04 مارس 1954، وسياسة تشكيل الوزارة الحالية، وبيّن أنّ تلك الإصلاحات خالية من كل أوجه السيادة، أو في سبيل تحقيق الحكم الذاتي للتّونسيين، والتي أقرّت "السيادة المزدوجة وافتكّت خصائص البلديات من أيدي التّونسيين وأهملت مشكلتي الوظيفة العمومية والمحكمة الإدارية"، كما ندّد البيان بالزيادة الزهيدة الأخيرة في الأجور، واعتبرها تحدّيا لكل العمال.

كما أكّد الاتّحاد الجهوي في بيانه أنّ هذه الإصلاحات تكرّس التفوق في الحكم للمعمرين، والسيادة المزدوجة، واحتجّ البيان على سياسة قمع الحرّيات العامة واعتقال الوطنيين والنقابيين والزجّ بهم في السجون والمحتشدات، وطالب بالقبض على مغتالي الزعيم فرحات حشّاد ومحاسبتهم **(القسطلي، 1954، صفحة 2)**.

يبيّن هذا البيان السياسة الاحتكارية في الحكم والتسيير والاستفادة من الامتيازات، التي تنتهجها الإدارة الاستعمارية، على حساب أصحاب الحق والأرض، ورغم عرائض الاحتجاج المقدّمة إلا أن مطالبهم يضرب بها عرض الحائط ولا يؤبه لها.

4. خاتمة:

لقد حاولنا رصد وتحليل المواضيع والمقالات التي نُشرت في الجرائد التّونسية الثلاثة – التي عثرنا عليها– (الزهرة، النهضة، الوزير) ما بين سنوات (1947 – 1955)، والتي تشير في مناسبات وأحداث وطنية عديدة إلى الدور البارز الذي أدّاه الاتّحاد العام التّونسي للشغل فترة المقاومة الوطنية التونسية ومعركة التحرير الأخيرة، ويمكن أن نلخّص النتائج التي توصّلنا إليها في النقاط الآتية:

- ساهمت النقابات التّونسية عموما في دعم الحركة الوطنية التّونسية، من خلال مجالها النقابي الاقتصادي والاجتماعي، بحيث سعت جاهدة إلى المطالبة بحقوق العمال التّونسيين والمساواة بينهم وبين الفرنسيين المتواجدين في تونس من حيث الأجور والمناصب، وناضلت لتحقيق هذه المطالب، كما وسّعت من قاعدتها الاجتماعية في كامل البلاد، وتمكّنت من تنظيم العديد من الإضرابات التي لقيت تأييدا شعبيا، وأدّت إلى مواجهات مباشرة مع قوات الاستعمار.
- يعتبر انفصال العمال التونسيين عن المنظمات الفرنسية النقابية وتجمّعهم في نقابة واحدة هي الاتحاد العام التّونسي للشغل، لدليل على نضجهم الوطني ووعيهم السياسي، ورفضهم للتبعية الاستعمارية التي هضمت حقوقهم واستغلّت ثرواتهم.
- عمل فرحات حشّاد بمجرد انتخابه أمينا عاما للاتّحاد العام التّونسي للشغل إلى تحضير العمال لمرحلة الكفاح الوطني القادمة، فبدأ نشاطه بتأسيس فروع للاتّحاد في كامل البلاد، حتى تتشكّل قاعدة نقابية قويّة من العمال، ثمّ عمد إلى تكوينهم في العمل النقابي، حتى يكونوا إطارات المستقبل.

- تبيّن لنا الجرائد التّونسية بأنّ الفكر النقابي التّونسي في عمقه قريب من الفكر الوطني السياسي، ويلتقيان في تنديدهم بالاستغلال الاقتصادي والاجتماعي الذي تمارسه الشركات الأجنبيّة الرأسمالية في تونس بموافقة تامة من السلطة الاستعمارية، على حساب موارد الشعب.
- الوضع الاستعماري وحّد التونسيين حول مناهضة الاستعمار، رغم اختلاف انتماءاتهم الحزبية والنقابية، بل اندمجوا تدريجيّا في المقاومة الوطنية والكفاح المسلّح خاصة مع بداية الخمسينات.
- اعتبر الزعيم فرحات حشاد في فترة مهمّة من تاريخ الحركة الوطنيّة التّونسية رائدا للكفاح الوطني ورمزا للوحدة وعنوانا للتحرير، وتشبّثت به كل الجماهير رغبة في الاستقلال، وأصبح قائدا بلا منازع للحركة الوطنية في هذه المرحلة التي شملت كل الأحزاب والنقابات (من جانفي 1952 إلى غاية ديسمبر 1952)، حيث تصدّى بخبرته النضاليّة لكلّ المؤامرات الاستعمارية التي استهدفت مستقبل البلاد، إلى أن اغتيل غدرا.
- شخصية فرحات حشاد أكثر قوة وصلابة من شخصية الحبيب بورقيبة، فالأول كان مناضلا حازما مع السلطات الاستعمارية وجريئا في مطالبه ونال إعجاب كل التونسيين، أما الثاني فتميّز بحنكته السياسية وديبلوماسيته القوية، فهو يجيد فن المناورة حسب كل ظرف، فتارة يرفض ويعاند وتارة أخرى يوافق ويساند، ويعتبر بورقيبة من الدهاة لشدّة ذكائه وتعامله مع المواقف.
- ناضل الاتّحاد جنبا إلى جنب مع الأحزاب السياسية الوطنية في معركة التحرير الأخيرة، وجمعت بينه وبين حزب الدستور الجديد علاقات وطيدة وتعاون، فقد اعتمد الاتّحاد في مواجهة العدوّ على حرب العصابات، من خلال نصب الكمائن، وقطع أسلاك الهاتف والكهرباء، وهدم السكك الحديدية، وكسر الجسور والطرق، بالإضافة إلى الأعمال الفدائية، ممّا جعل سلطة الحماية تشتاط غضبا من مناضليه، فأصدرت الأوامر بملاحقتهم وسجنهم والتنكيل بهم، وصدر في حقّ الكثير منهم قرارات بالإعدام.

- استثمر فرحات حشّاد عضوية الاتّحاد في الكونفدرالية العالمية للنقابات الحرّة، باستعمالها كوسيلة ضغط على الحكومة الفرنسية، واستطاع كسب التأييد العمالي العالمي لقضية تونس.
- تفطّنت الإدارة الاستعمارية لقوة الاتّحاد في الميدان من خلال تأثيره في الجماهير وتجنيده للعمال، وتصدّيه لسياستها الرامية إلى استغلال كل مقدّرات البلاد، بل هدّد امتيازاتها، فشنّت حربها على رجاله ومارست عليهم القمع، وأبادت أبرز قادته.
- بعد اغتيال منظمة "اليد الحمراء" للنقابي فرحات حشاد، تصاعدت المقاومة التّونسية المسلّحة أكثر من ذي قبل، حيث نظّمت صفوفها، وأعلنت أنّه لا مجال للتراجع إلا بعد تحقيق الاستقلال.
- بيّنت الجرائد التّونسيّة مشاركة حركة انتصار الحرّيات الديمقراطية الجزائرية لأفراح الشعب التونسي أو أحزانه أيّام محنته، كما حدث في جنازة المنصف باي عام 1948، وكذلك الأمر بالنسبة لقادة الحركة الوطنيّة في تونس، فنجدهم يبادرون بالحضور والمشاركة في الجزائر كلّما تمّ استدعاؤهم، ويخصّصون عناوين خاصة في جرائدهم للثورة الجزائرية.
- تعتبر الجرائد التّونسية – التي تصدر يوميّا أو أسبوعيّا وتغطي الأحداث في حينها– مرجعا مهمّا لتلك الحقبة التاريخية، على الرغم من المضايقات الاستعمارية التي تلاحقها، وقد اغتالت سلطة الحماية الكثير من الناشرين، وأوقفت صدور البعض منهم، كل ذلك يدعونا إلى البحث فيهم بعمق، لأنّنا لاحظنا أنّ هذه الجرائد على اختلاف أفكارها وتوجّهاتها، بيّنت الكثير من الحقائق المخفيّة وسلّطت الضوء على الكثير من الشخصيات والمواقف التي لا تزال حبيسة تلك الجرائد، لهذا نقترح على الباحثين والمؤرخين الاهتمام أكثر بالجرائد التي أرّخت لفترات مهمّة من تاريخنا.

5. قائمة المراجع:

- **المؤلفات:**

- حسونة مصباحي. (2011). رحلة في زمن بورقيبة (المجلد 1). تونس: دار آفاق – برسبكتيف.
- الطاهر عبد الله. (1976). الحركة الوطنيّة التونسية رؤية شعبية قومية جديدة 1830 – 1956 (المجلد 2). سوسة، تونس: دار المعارف.
- محمود آيت مدور. (2013). الحركة النقابية المغاربية بين 1945 – 1962 الجزائر وتونس نموذجا. الجزائر: دار هومه.
- علي البلهوان. (1954). تونس الثائرة. القاهرة: لجنة تحرير المغرب العربي.

- **الجرائد:**

- الطيب ابن عيسى. (1951). الحظوظ تتبّع الظروف حول القضيتين المغربية والتونسية. الوزير، 2.
- الطيب ابن عيسى. (1955). قبران لفرحات حشاد. الوزير، 2.
- محمد عبد الرحمان الصّنادلي. (1950). خنيس عمل المنستير كارثة فادحة تهدد حياة السكان. الزهرة، 3.
- محمد التجاني زغودة. (1950). اجتماع احتجاجي كبير بسوق الأربعاء. الزهرة، 2.
- الشاذلي القسطلي. (1947). المؤتمر الثاني العتيد للاتّحاد العام التّونسي للشغل. النهضة، 1.
- الشاذلي القسطلي. (1948). في موكب القلوب والدموع والحسرات من ميناء العاصمة إلى الجلاز شيّع 100 ألف تونسي الملك العظيم سيدنا ومولانا محمد المنصف باشا باي. النهضة، 1-2.
- الشاذلي القسطلي. (1952). بعد فشل القضية التّونسيّة أمام مجلس الأمن. النهضة، 1.
- الشاذلي القسطلي. (1954). الاتحاد العام التّونسي للشغل الإضراب العام ليوم الخميس 25 مارس 1954. النهضة، 2.